نظرة عامة في السياسة العثمانية لتثبيت الحكم باليمن من واقع دفاتر المهمة (967-999هـ/1559-1591م)

Mühimme Defterlerinde Yemen'de Osmanlı Yönetiminin Yerleşmesine Genel Bir Bakış (1559-1591)

سهيل صابان أد.

قسم التاريخ/كلية الآداب: جامعة الملك سعود. ص ب 2456 الرياض 11451 المملكة العربية السعودية

ssapan@ksu.edu.sa

الملخص العربي

يتناول البحث السياسة العثمانية العامة في تثبيت الحكم العثماني في اليمن من واقع دفاتر المهمة في الأرشيف العثماني، والأوامر الصادرة من السلطان العثماني لمختلف ولايات الدولة العثمانية وقياداتها العسكرية في المنطقة (مصر، الإسكندرية، السويس اليمن، الحجاز، بغداد والبصرة)؛ للعمل على توفير الأمن واستتبابه في اليمن، وتوفير القوات العثمانية به من الجند والسلاح والمواد الغذائية. وذلك بسبب المقاومة الشديدة للحكم العثماني به، سواء بسبب تخبط الولاة العثمانيين فيه (مثل سليمان الخادم ومصطفى نشار باشا)، أو بسبب عدم رغبة الحكام المحليين في التخلي عن حكمهم للعثمانيين.

كما يتناول البحث كيفية إرسال الجنود من مصر إلى اليمن، وكيفية توفير السفن اللازمة لنقل هؤلاء العساكر إلى اليمن، والرواتب المخصصة لهؤلاء من الدولة، ومدة الخدمة النظامية فيه. وكذلك كيفية حفظ السواحل اليمنية، والسفن التي وظفتها الدولة؛ للبقاء في تلك السواحل.

وسوف يتضح من الدراسة مدى نجاح العثمانيين في تثبيت الحكم العثماني باليمن، سواء من خلال التنسيق الذي جرى مع ولايات المنطقة العثمانية وقياداتها العسكرية، وكذلك الخدمة التي قدمها شريف مكة المكرمة في إرسال الجند والخيول إلى اليمن، وفي المقابل عدد الجيش العثماني الذين قتلوا في مختلف المعارك التي نشبت بينهم وبين اليمنيين.

الملخص التركي

ÖZET

Mühimme defterleri, Başbakanlık Osmanlı Arşivlerinin en önemli tasniflerinden olup, devletin verdiği siyasi/idari kararların ilgili vilayetlere tarih sırasına göre gönderildiğini belirten önemli bir tarih kaynağıdır. İşte bu kaynak genel olarak Osmanlı vilayetleriyle ilgili önemli hükümleri kapsadığı gibi, Yemen vilayetiyle ilgili çok önemli bilgiler de yer almaktadır. Özellikle Osmanlı yönetiminin karşılaştığı zorluklar ve bunların çözüm yolları. Yemende gerek Osmanlı yönetiminin yerleşmesi, ve gerek yeterli güvenlik tedbirlerinin alınması için Mısırdan defalarca askerler gönderilmiş, bu askerler için silah ve zahire sevkiyatı yapılmıştır. Ayrıca Kızıldenizden gerek Portekizlilerin temizlenmesi gerekse Osmanlı nüfuzunun tesisi için, sefinelere ihtiyaç duyulmuştur. Tüm bu ihtiyaçların tedarik

edilmesi için, bölgedeki diğer vilayetlerle iletişimin aksamadan yürümesi ön görülmüştür.

Gerek bazı Osmanlı valilerinin Yemendeki icraatları, gerekse oradaki eski mahalli yöneticilerin Osmanlı buyunduruğuna geçmek istememelerinden dolayı, Yemende Osmanlı yönetimine karşı ciddi muhalefet devam etmiştir. 1519 yılında Osmanlı fiili olarak Yemende varlığını isbat etse bile, gerçek Osmanlı idaresi 1538 yılında kurulmuştur. Ancak gerek Portekiz donanmasının Yemenin güney sahillerinde bulunmasından, gerekse buradaki çeşitli siyasi olumsuzluklardan dolayı Yemendeki problemler bu tarihten sonra da bir türlü dinmemiştir. İşte bütün bu problemler ve çözüm yolları ile Yemendeki Osmanlı yönetiminin devam ve bekası için, 1559-1591 tarih aralığında Mühimme Defterlerinde yer alan hükümler çerçevesinde Osmanlı devletinin takip ettiği politika incelenecektir.

المقدمة

لقد كُتب الكثير عن بداية الوجود العثماني في اليمن، وتناول الباحثون هذا الوجود إما بصورة مستقلة، أو ضمن أبحاث جانبية تتناول تاريخ اليمن الحديث. وتحدثوا في تلك المؤلفات والأبحاث عن ذلك الوجود بصورة عامة، سواء في توضيح الإستراتيجية العثمانية في المنطقة، أو العقبات التي اعترضت تنفيذ تلك الإستراتيجية. ومع أهمية المصادر التي اعتمد عليها الباحثون المختصون، وتحليلهم لأبعاد ذلك الوجود وإستراتيجيته، إلا أنني أزعم أن أية دراسة في هذا الموضوع، لا تستند في معطياته على الأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة، سوف تكون دراسة ناقصة، لابد من استكمالها؛ ذلك أن المصدر الرئيس وبلسان رسمي الذي يوضح الموقف العثماني من وجوده في اليمن، إنما توضحه تلك الأحكام السلطانية. ومع عدم التقليل من المصادر الأخرى، والمحلية منها بصورة خاصة، إلا أنها تركز في الغالب الأعم على نقل الصورة من وجهة نظر أحد طرفي المشكلة. وبناءً على ذلك فقد اعتمدت هذه الدراسة – التي تتناول سياسة الدولة العثمانية في تثبيت الحكم باليمن - بصورة رئيسة على النصوص الواردة من الأحكام السلطانية في دفاتر المهمة المحفوظة في الأرشيف العثماني بإستانبول، مع عدم إهمال الدراسات العربية المتعلقة بالموضوع..

ولابد في البداية من التعريف بهذا المصدر الهام، فما هي دفاتر المهمة؟

دفاتر المهمة في الأرشيف العثماني

يحوي أرشيف رئاسة الوزراء في إستانبول المعروف بالأرشيف العثماني تصنيفاً خاصاً يسمى بـ دفاتر المهمة Muhimme defterleri ويضم 266 دفتراً أي سجلاً، يتناول الأحكام السلطانية، أي الأوامر الهامة الصادرة من الديواني السلطاني باسم السلطان، لمختلف ولايات الدولة العثمانية وأقضيتها بحسب الترتيب التاريخي لها، في الفترة الممتدة من (961-1323هـ/1553-1905م). أي أن الأوامر السلطانية وردت في تلك السجلات دون الترتيب الموضوعي، الواحدة تلو الأخرى إلى الولايات بحسب تاريخ صدورها. والجدير بالذكر أن الأرشيف يضم عدة أنواع من دفاتر المهمة. منها: دفاتر المهمة العسكرية، ودفاتر المهمة المكتومة، ودفاتر مهمة مصر، وذيل دفاتر المهمة..إلخ.

وعلى الرغم من وضع تصنيف دفاتر المهمة في النظام الحاسوبي بالأرشيف العثماني في إستانبول، إلا أن الباحث لا يتمكن من الاطلاع على مضمونها إلا في قاعة الباحثين بذلك الأرشيف. كما أنه يحتاج إلى وقت طويل؛ لتصفح دفاتر المهمة في النظام الحاسوبي؛ للوصول إلى الوثيقة أو الوثائق المطلوبة من الأحكام السلطانية في الموضوع الذي يبحث فيه. ومع ذلك فإنه أسهل من طلب

الدفتر الواحد والبحث فيه، ثم طلب دفتر آخر. ولاسيما أن تلك الدفاتر متفاوتة في أحجامها وعدد صفحاتها والأحكام التي تتناولها. وإذا علمنا أن عدد دفاتر المهمة موضوع البحث هنا 266 دفتراً، فإن كل دفتر قد يضم أكثر من ألفي حكم سلطاني. وهنا تظهر أهمية هذه الفهرسة الآلية في البحث في عشرات الآلاف من الأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة. وإضافة إلى هذه التسهيلات التي يقدمها الأرشيف، فقد قام في الوقت ذاته بنشر مجموعة من دفاتر المهمة، يمكن للباحث شراؤها من إدارة الأرشيف، أو الاطلاع على مضمونها من موقع الأرشيف http://www.devletarsivleri.gov.tr/icerik/364/yayinlar/) وتحميلها على جهاز الحاسوب الخاص بالباحث مجاناً. فقدّم الأرشيف بذلك خدمة متميزة لأهل التخصص.

أسباب التوجه العثماني إلى اليمن؟

لقد عدد الباحثون الأسباب التي أدت بالعثمانيين للتوجه من أوربا نحو الشرق والجنوب. ومنها: التشبع في العمليات العسكرية والفتوحات في أوربا، والتهديدات الصفوية، والنزاع مع المماليك..إلخ[1] إلا أن هناك من الباحثين[2] مَن عدد أسباباً أخرى غير الأسباب المذكورة[3]، وهي أسباب دينية واقتصادية وسياسية. وعلى رأسها الخطر المحدق بالحرمين الشريفين مع مجيء البرتغاليين إلى البحر الأحمر بعد تمكنهم من الخليج العربي (فقد استولوا على هرمز عام 912هـ/1507م وعلى جوا في الهند عام 915هـ/1510م)[4]؛ إذ من المعروف قيامهم بالشروع في تنفيذ خطتهم فيما بعد لما حاولوا القيام بضرب جدة[5] (عام 923هـ/1517م)[6]؛ فقد كان البرتغاليون ينوون هدم الكعبة المعظمة

---

[1] لتفصيلات ذلك انظر: إسماعيل أحمد ياغي/الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث.- الرياض: مكتبة العبيكان، 1416هـ/1996م. ص 55-61

[2] Muhammet Yıldırım, *XVI.Yüzyılda Osmanlı Devletinin Kızıldeniz, Basra Körfezi, Yemen ve Habeşistan Politikaları,* (Süleyman Demirel Unv.Sosyal Bilimler Ens.Tarih Anabilim Dalı, Basılmamış Yüksek Lisans Tezi), 2001, s. 8-9

[3] من هؤلاء الباحثين محمد أنيس، الذي ذكر عوامل تغيير الاستراتيجية العثمانية نحو المشرق العربي، ولخصها في ثلاثة: 1- سياسة الدولة الصفوية في إيران في بسط المذهب الشيعي في العراق وآسيا الصغرى، 2- خروج البرتغاليين إلى المحيط الهندي والإغارة على العالم الإسلامي وتحويل طريق التجارة بين الشرق والغرب عن مصر والبحر الأحمر إلى طريق رأس الرجاء الصالح، 3 – ضعف دولة المماليك وعجزها عن مقاومة الأخطار المحلية والدولية الجديدة. الدولة العثمانية والشرق العربي: 1514-1914م. القاهرة: مكتبة سعيد رأفت، 1977م. ص 100-102

[4] Muhammet Yıldırım.ibid.p. 30

[5] سيد مصطفى سالم/الفتح العثماني الأول لليمن: 1538-1635م.- ط2.- القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1978م. ص 105

[6] ولقد ذكر أبو مخرمة في كتابه قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر: أن الفرنج وصلوا في هذه السنة إلى بندر عدن في ثلاثين خشبة، ما بين برشة وغراب، مظهرين السعادة لأهل عدن على المصريين، ولم يغيروا شيئاً في البندر ولا غيره، ونزل منهم جماعة إلى الساحل، وواجههم الأمير مرجان بالساحل وقدم لهم الضيافة العظيمة إلى مراكبهم، وطلبوا ربابين تسير بهم إلى جدة، فدفع إليهم جماعة ربابين من أهل الشام بالكره من الربابين لذلك، بعد أن أخيفوا وتجوروا، فلم يعذرهم الأمير في ذلك كفاية لشر الفرنج، فمكثوا في البندر أياماً ثم ساروا إلى جدة، فأرسوا ببندرها وبها الأمير سلمان في جمع من الترك وغيرهم، وكانوا قد علموا بمسيرهم إلى جدة، فاستعدوا لقتالهم، فلم ينزل أحد من الفرنج إلى ساحل جدة؛ بل قصدهم الأمير سلمان إلى البندر في غراب أو غرابين، فلما قرب منهم رماهم بالمدافع، فأتلف عليهم من مراكبهم مركبين أو ثلاثة.. واستمر الفرنج راجعين عن بندر جدة على جهة اليمن.. تاريخ اليمن السياسي مطلع القرن السادس عشر (العاشر الهجري): (906-927هـ/1500-1521م) من تاريخ قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر لأبي مخرمة، مع دراسة للصراع الإسلامي البرتغالي على سواحل جنوب الجزيرة العربية والبحر الأحمر/تعليق لين أوبيل سخومن؛ حقق النص وترجم التعليقات وأضاف الملاحق: عبد الرحمن بن عبد الله الأحمري. (د م ن): 1429هـ/2008م. ص 87-88، والتعليق (199) ص 217-218، 249-250

ونبش قبر النبي[7] – صلى الله عليه وسلم[8] -، كما كان يراود أحلام آلبوكيرك[9] تدمير الإسلام واحتلال مقدساته[10].

وبناءً على ما سبق فإن الزعم الذي ينطلق منه الباحث هنا في الاستراتيجية العثمانية الجديدة؛ لضم البلاد العربية إلى أراضيها، وتسلم زمام الأمور فيها ولاسيما ضفتي البحر الأحمر بما فيهما السواحل اليمنية بطبيعة الحال، كان حمايةَ الحرمين الشريفين من الغزو البرتغالي، وإبقاءَهما بعيداً عن متناول أيدي الأعداء المتمثلين في البرتغاليين، الذين تعهدوا للبابوية بنشر رسالة المسيح في البلاد الشرقية من نصف العالم، كما تعهد الإسبان بنشرها في النصف الثاني من العالم المتمثل في الغرب[11].

ولذلك فإن ضم الدولة العثمانية لمصر والحجاز ثم اليمن، استهدف حماية الحرمين الشريفين من أي هجوم يقوم به البرتغاليون على سواحل البحر الأحمر والجزيرة العربية، وحماية العالم الإسلامي من الغزو الصليبي الذي زاد خطره بعد تمكن البرتغاليين من الطريق المؤدي إلى الهند[12]. وهنا لابد من الإشارة إلى ما ذكره المؤرخ اليمني المعاصر سيد مصطفى سالم عند حديثه عن الفتح العثماني لسواحل اليمن؛ فقد أشار إلى أن العثمانيين وجدوا أنفسهم مضطرين إلى اتباع الخطط المملوكية في الدفاع عن البحر الأحمر بعد استيلائهم على مصر؛ إذ كان الخطر البرتغالي يشتد ضراوة في هذا البحر، إضافة إلى إدراك العثمانيين أهمية اليمن الإستراتيجية في نزاعهم مع البرتغاليين[13].

والحقيقة أنه لم يكن بإمكان العثمانيين منع دخول السفن البرتغالية إلى البحر الأحمر ما لم يكملوا سيطرتهم على اليمن؛ لكونها البوابة الرئيسة إلى الحرمين الشريفين. ولذلك فقد ركز العثمانيون كل جهودهم في الاستيلاء على اليمن، وفي تأمين سواحل البحر الأحمر من الجهتين. ولتحقيق ذلك فقد قاموا بالعديد من الحملات العسكرية؛ بسبب المقاومة الشديدة التي لقيتها القوات

---

[7] عبد العزيز محمد الشناوي/الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها.- ط2.- القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1986م: 698/2

[8] لقد أرسل السلطان المملوكي قانصو الغوري رسولاً إلى ملك البرتغال، لما رأى الخطر البرتغالي على مصر والتجارة المصرية، طلب منه وقف الحملات البرتغالية، وإلا فإنه سوف يقوم بهدم الأماكن المقدسة للنصارى في القدس. فرد عليه الملك بأن قواته تقدر على الاستيلاء على مكة والمدينة، ولو تطلب الأمر لقام بهدم الروضة النبوية. Muhammet Yıldırım.ibid.p.28-29

[9] ألفونصو دي ألبوكيرك: قائد بحري وسياسي برتغالي (1453-1515م). تربى وتلقى تعليمه في قصر الملك أفونسو الخامس، عمل لمدة 10 سنوات في شمال أفريقيا، اشترك في الحملة البرتغالية على مدينتي أصيلة وطنجة شمال المغرب سنة 1471م، أصبح مسئولاً عن الإسطبل الخاص بجياد الملك خوان الثاني إلى أن تم إرساله إلى شمال أفريقيا للمرة الثانية سنة895هـ/1489م للدفاع عن إحدى القواعد البرتغالية هناك، ثم أصبح نائباً لملك البرتغال في الهند سنة 1509م، مكنته حنكته العسكرية وأسلوب قيادته من غزو وقتل وتدمير وإخضاع منطقة المحيط الهندي تحت راية الإمبراطورية البرتغالية. وقد منحه ملك البرتغال مانويل الأول لقب نائب الملك ودوق غوا قُبيل وفاته، ليكون أول دوق لا ينتمي إلى الأسرة المالكة، وأول الألقاب الممنوحة خارج البرتغال. سيطر البرتغاليون في عهده على ساحل أفريقيا الشرقي وأقاموا أول تحالف مسيحي مع الأحباش لضرب القوى الإسلامية، توغل البوكيرك في البحر الأحمر وحاول الاستيلاء على عدن وجده ومهاجمة الأماكن المقدسة لكنه فشل في ذلك، ثم تراجع متجهاً إلى الهند، ولم يلبث أن مرض ومات على ظهر سفينته قبالة سواحل جوا سنة 1515م، وذلك بعد أن استطاع إرساء ركائز الدولة البرتغالية في الشرق، وإن كان ذلك قد شغله كثيراً عن الاهتمام بالبحر الأحمر. طلال حمود المخلافي. الحملات العثمانية على اليمن (926-978هـ/1520-1571م)، جامعة محمد الخامس في أكدال/الرباط: رسالة دكتوراه غير منشورة، (1431هـ/2010م). ص 72

[10] تاريخ اليمن السياسي مطلع القرن السادس عشر. مرجع سابق. ص 248

[11] Türkiye Diyanet Vakfı, Islam Ansiklopedisi, Istanbul 1991, 3/35

[12] Muhammet Yildirim.Ibid.p.25

[13] الفتح العثماني الأول لليمن. ص 113

العثمانية في اليمن، سواء من المماليك[14] أو من أصحاب السلطة المحلية من أهالي اليمن، وهم الطاهريون[15] في عدن، والزيدية في صنعاء والمدن الأخرى، إضافة إلى القبائل المتناثرة في أماكن أخرى من اليمن[16]. كما أن القتال الذي جرى بين مختلف القوى في اليمن، ولاسيما بين القوات العثمانية نفسها[17]، قد أجج نار الفتنة، وأدى إلى التأخر في تثبيت الحكم العثماني في اليمن.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن تعيين حسين الرومي[18] على سنجق جدة (عام 1519م)، كان بداية لمرحلة جديدة في سياسية العثمانيين في البحر الأحمر؛ فقد اتخذوا من جدة مركزاً رئيساً للدفاع عن هذا البحر، وقلعة حصينة للسيطرة عليه، كما اتخذوها منطلقاً ومقراً أمامياً؛ لفرض سيطرتهم الفعلية في اليمن[19]. وقد تميز الرومي بصفات عدة في تعامله مع الأهالي، منها الرفق بهم، ونشر الأمن والعدل بينهم، ما أدى إلى أن تستقر له الأمور فيها، خاصةً بعد أن جاءه حكم سلطاني بتثبيته في الحكم[20].

---

[14] المرجع السابق. ص 130-131، طلال حمود المخلافي. مرجع سابق. ص 105

[15] الطاهريون أو بنو طاهر: أسرة حاكمة في اليمن في الفترة (1454-1517م) بعد الدولة الرسولية. استولوا على عدن أولاً ثم على بعض البلدان الأخرى التي كانت تحت حكم بني رسول؛ بسبب ضعف هؤلاء في أواخر حكمهم في اليمن. واستطاع بنو طاهر من إخضاع القبائل وصنعاء فيما بعد، فيسطروا على معظم المناطق. وبعد مجيء البرتغاليين إلى المنطقة، طلب عامر الثاني من السلطان المملوكي مساعدته في مقاومة البرتغاليين. فأرسل قائد الأسطول حسين بك، الذي أقام في جزيرة قمران. ولما رفض عامر طلب حسين بك في تموين الجيش، ساءت العلاقات بين الطرفين، فأعلن المماليك الحرب على بني طاهر، وأيد الزيديون والقبائل القوات المملوكية، وقد وقعت عدة معارك بين الطرفين في زبيد وصنعاء، وقتل عامر الثاني، فبويع لابنه أحمد. وبعد وفاته (924هـ/1518م) وقعت خلافات على الحكم بين أفراد الأسرة، لكن استطاع عامر بن داود تسلم زمام الحكم (927هـ/1521م) في عدن، التي أصبحت قاعدة هامة في مواجهة القوات البرتغالية. ولما رفض تقديم المساعدة للقوات العثمانية ضد البرتغاليين في أثناء حملة سليمان باشا الخادم على عدن (1538م)، فقد قام بإعدامه في الحادثة المشهورة على ظهر السفينة العثمانية. وبذلك قضى على حكمهم.
Turkiye Diyanet Vakfi/Islam Ansiklopedisi.Istanbul:2010: 39/405-407

[16] المرجع السابق. ص 146، طلال حمود المخلافي. مرجع سابق. ص 106

[17] طلال حمود المخلافي. مرجع سابق. ص 109

[18] حسين الرومي أحد أمراء السناجق الذين جاءوا إلى مصر مع حملة السلطان العثماني سليم الأول، ثم بقي بها حتى تم تعيينه من قبل خاير بك – أمير أمراء مصر – أميراً لسنجق جدة في رمضان 925هـ/ أغسطس 1519م، بناءً على أوامر من السلطان سليم الأول، وذلك بدلاً عن قاسم الشرواني، الذي كان أول من تولى هذا المنصب في جدة من قبل العثمانيين، وقد توجه حسين الرومي إلى جدة صحبة قافلة الحج المصرية لذلك العام، على رأس قوة عسكرية مكونة من 300 جندي من المماليك والأتراك؛ ليتمكن من تنفيذ مهامه التي كان على رأسها مراقبة البرتغاليين والتصدي لخطرهم في البحر الأحمر، خاصةً وأن شريف مكة بركات الثاني كان قد أرسل إلى خاير بك يعلمه بأن سفن البرتغاليين تعبث في البحر الأحمر بالقرب من ميناء جدة، وتقوم بقطع الطريق على المسافرين مما أضر بوضع جدة الاقتصادي. فتوجه حسين الرومي على رأس حملة بحرية إلى اليمن سنة 926هـ/1520م؛ بغرض إخضاع السواحل اليمنية ــ التي كان يحكمها للمماليك ــ للسيطرة العثمانية المباشرة، لكن اسكندر المخضرم رفض السماح له بدخول اليمن، واستعد لمحاربته، فقفل راجعاً إلى جدة، ثم عاد بحملته إلى اليمن من جديد بصحبة سلمان الريس سنة 930هـ/1524م، بعد أن قُتِل اسكندر المخضرم، حيث تمكن الرومي هذه المرة من دخول زبيد والاستقرار في حكمها حتى توفي فيها سنة932هـ/1525-1526م بعد مرض طويل. وقد تميز الرومي بعدد من السمات الشخصية التي أهلته للترشح لقيادة أول حملة عثمانية على اليمن؛ إذ كان رجلاً فاضلاً عاقلاً، يكره سفك الدماء، ويرفق بالأهالي، ويميل إلى الخير والعدل، كما كان يحب العلماء، ويطيع الشرع الشريف، ويتلطف بمداراة القوي والضعيف، إضافة إلى مواهبه في بناء العلاقات الشخصية، وكسب ثقة الشخصيات القيادية في الدولة العثمانية، وعلى رأسها السلطان العثماني سليم الأول، وبكلربك مصر خاير بك. المرجع السابق. ص 96-98

[19] المرجع السابق ص 103

[20] المرجع السابق. ص 110

ونظراً لأن الباحث اليمني طلال بن حمود المخلافي درس تلك الحملات العثمانية بتوسع[21]، فإنني أنتقل إلى صلب الموضوع، وهو بيان الخطوات العثمانية في تثبيت الحكم في اليمن.

الخطوات العثمانية في تثبيت الحكم في اليمن

اتضح من النصوص الواردة للفرمانات السلطانية في دفاتر المهمة، أن الشغل الشاغل للدولة العثمانية فيما يخص اليمن بصورة خاصة والجزيرة العربية بصورة عامة، كان الخطر البرتغالي على المنطقة، وكيفية إبعاد ذلك الخطر عنها، كما يرد ذلك في ثنايا الأوامر السلطانية المرسلة إلى ولايات المنطقة. ومما ينبغي التنويه به هنا أن الخطوات التي اتبعها العثمانيون في تثبيت الحكم في اليمن، إنما كانت تهدف استتباب الأمن واستقرار الأوضاع فيه؛ بغية إبعاد ذلك الخطر عن البلاد؛ إذ إن اليمن وبسبب موقعه الإستراتيجي كانت في خط المواجهة الأولى أمام ذلك الخطر[22]. وقد دلت المراسلات الكثيرة التي وقعت في تلك الفترة بين إستانبول وبين ولايات المنطقة المتمثلة في مصر والإسكندرية والسويس واليمن والحجاز إضافة إلى بغداد والبصرة، دلت كلها وركزت على توفير الأمن واستتبابه في اليمن، وإرسال الجنود إليها وبأعداد كبيرة، سواء من إستانبول أو مصر أو حتى من الشام، وتوفير حاجياتهم سواء للمواد الغذائية والغلال، أو الأسلحة والسفن، أو المبالغ المالية التي يحتاجون إليها. بل وصل الأمر إلى قيام شريف مكة المكرمة بإرسال العساكر إلى اليمن؛ بغية تمكين القوات العثمانية فيها من السيطرة التامة على الأوضاع فيها، كما سيأتي.

ومن جهة أخرى فإن كثافة الأوامر السلطانية الصادرة في تلك الفترة، تدل بصورة واضحة على المقاومة العنيفة للحكم العثماني في اليمن. وبغض النظر عن أسباب ذلك، سواء أكان المتسبب فيها ولاة اليمن العثمانيون وتعاملهم مع الأهالي بأسلوب شديد، أم عدم الرغبة في ذلك الحكم من اليمنيين، أو غير ذلك من الأسباب، إلا أن سوق العساكر بأعداد كثيرة ومن جهات عديدة، وتغيير القيادة العسكرية والولاة في اليمن بين الفينة والأخرى، والتركيز على توفير الأمن واستتبابه في اليمن، لدليل على تلك المقاومة اليمنية لذلك الحكم العثماني، الذي لم يخلُ من منغصات، على الرغم من اتفاق المؤرخين على أن الحكم العثماني المباشر في اليمن يبدأ سنة (1538هـ) في عهد السلطان سليمان القانوني (1520-1566م).

وبناءً على ما سبق وبالرجوع إلى مجموعة من دفاتر المهمة التي تتناول الفترة العثمانية الأولى في اليمن، يمكن توضيح الخطوات التي اتبعها العثمانيون في تثبيت الحكم في اليمن، من واقع الفرمانات الصادرة من السلطاني العثماني في تلك الدفاتر في الآتي:

1 – التنسيق بين ولايات المنطقة

إن التنسيق بين ولايات المنطقة وهي مصر والإسكندرية واليمن والحجاز وبغداد والبصرة، كانت السياسة التي ترافقت مع كل الخطوات التي اتبعها العثمانيون في تثبيت حكمهم في اليمن. ولا

---

[21] وذلك في رسالته الموسومة بـ الحملات العثمانية على اليمن (926-978هـ/1520-1571م)، جامعة محمد الخامس في أكدال/الرباط: (رسالة دكتوراه بصدد النشر في مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة الفرات في مدينة العزيز بتركيا)، (1431هـ/2010م).

[22] هناك أسباب عدة لعدم تمكن العثمانيين في القضاء على البرتغاليين وطردهم من الخليج العربي، حتى لو نجحوا في تحقيق الاستقرار في المنطقة. منها: أولاً: بعد المنطقة عن بناء الأساطيل العثمانية في البحر الأحمر، عن المحيط الهندي والخليج العربي. ثانياً: وهو نتيجة للسبب الأول وهو عدم تمكن العثمانيين من سوق العساكر بأعداد كبيرة إلى المحيط الهندي. ثالثاً: صعوبة نقل الأخشاب لتصنيع السفن في البصرة، رابعاً: خبرة البرتغاليين في المحيطات التي اكتسبوها بفضل تقنية السفن الجديدة، وفي المقابل عدم وجود أسطول عثماني قوي، يفوق الأسطول البرتغالي. خامساً: عدم تنفيذ بعض القادة البحريين للأوامر الصادرة إليه، كما هو حال بيري رئيس..

شك أن مصر كانت ولاية مركزية في هذا التنسيق، كما كانت عليها الأعباء والتكاليف الكبيرة التي يتطلب إعدادها وإرسالها إلى اليمن، إضافة إلى أن معظم الأوامر الصادرة لولاة اليمن في تلك الفترة، كان يتم إبلاغها عن طريق مصر.

وهذا التنسيق الذي طلبته الحكومة المركزية في إستانبول من ولاتها، كان تنسيقاً في داخل الولاية من ذلك: التنسيق بين القوات العثمانية في داخل اليمن، فقد جاء في الأمر السلطاني الصادر (في غرة ذي القعدة 975هـ/28 إبريل 1568م) إلى أمير أمراء اليمن، وأمير أمراء مصر عطفاً على خطاب شريف مكة وحاكم جدة بإرسال السفن والعساكر إلى عدن، وضرورة رفع الأعلام العثمانية على السفن التي ترسل إلى اليمن، وأنه إذا ما تم إتمام المصلحة وهي استرداد عدن[23]، طلب السلطان من القيادة العسكرية والإدارية في اليمن أن تكون على اتفاق تام واتحاد فيما بينها؛ حتى يظهر أثر تلك الجهود الحميدة في طرد الأعداء من تلك الولاية[24]، وهو قوات المطهر، وذلك إثر تدهور الوجود العثماني في اليمن، وإخراج العثمانيين من سائر الأقاليم اليمنية ماعدا زبيد[25]، مما نتج عن ذلك القيام بالحملة الكبيرة للعثمانيين تحت قيادة سنان[26] باشا[27].

وكذلك تنسيقاً بين ولاية اليمن وولاية مصر، كما ورد التصريح بذلك في الأمر السلطاني الصادر (في عام 994هـ/1586م) الذي قضى بضرورة التنسيق بين ولايتي اليمن ومصر، سواء في مواجهة البرتغاليين الذين استولوا على بندر المخا، أو في مواجهة آل مطهر الذين لم يعلنوا خضوعهم للحكم العثماني، كما أورد الأمر السلطاني فحوى الخطاب الذي بعثه الوزير حسن باشا، المتضمن تمكنه من فتح اليمن جميعه، والقتال الحاصل بينه وبين البرتغاليين، وعدد السفن الموجودة تحت إمرته[28].

2 – بناء السفن وإعدادها وإرسالها إلى اليمن

اهتم العثمانيون بمرسى الإسكندرية والسويس منذ استيلائهم على مصر، وطوروهما؛ ليتمكنوا من بناء سفن كبيرة؛ حتى يقوموا بتنفيذ خطواتهم العملية، سواء في مواجهة البرتغاليين في المنطقة أو

---

[23] بسبب وقوعها في يد قوات المطهر. سيد مصطفى سالم. الفتح العثماني الأول لليمن. مرجع سابق. ص 244

[24] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.7/234.Hüküm: 1332. S.460-461

[25] سيد مصطفى سالم. الفتح العثماني الأول لليمن. مرجع سابق. ص 249

[26] هو سنان باشا، المعروف بـ قوجه (أي العظيم)، ألباني الأصل، ابن قروي يدعى علي. من مواليد لوما في طبوجاني، أو دلفين. عمل صدراً أعظم للدولة العثمانية في عهد مراد الثالث ومحمد الثالث خمس مرات. اشتهر بشخصيته النافذة ورجاله وثرواته وأوقافه. وإضافة إلى لقبه المذكور (العظيم) يعرف أيضاً بفاتح اليمن وتونس. دخل في القصر السلطاني صغير السن بمساعدة أخيه آياس باشا الذي دخل في خدمة القصر قبله. عين رئيساً لذواقي طعام السلطان سليمان القانوني، ثم أحيلت إلى إمارة ملاطيا، ثم قسطموني وغزة، ونابلس وحلب ثم والياً لمصر (في 24 جمادى الآخرة 975هـ/26 ديسمبر 1567م). وقد اتضح من معروض أنه كان متزوجاً من ابنة بنت السلطان سليم الأول، وقد أنجب منها بنتاً سميت بـ أمينة. كلف بإخماد الثورة التي قام بها المطهر في اليمن، وتنازع في هذا مع مصطفى لالا باشا، الذي عدّه مسؤولاً عن قتل أخيه آياس باشا، فتمكن من عزل لالا، وصار قائداً عاماً للقوات العثمانية في اليمن برتبة وزير. وقد تمكن من الاستيلاء على عدن ثم صنعاء، وتمكن من توحيد اليمن مجدداً بعد تقسيمها إلى ولايتين؛ إذ منح ولايتها لبهرام باشا، وفي طريق عودته زار مكة المكرمة حاجاً والمدينة المنورة. وبعد عودته إلى رأس عمله في القاهرة بمدة، عين وزيراً من وزراء القبة. عمل في العديد من جبهات القتال في الشرق والغرب، وحصل على أعلى المناصب في الدولة. توفي في إستانبول (في 5 شعبان 1004هـ/4 إبريل 1596م). للتفصيل انظر:

Türkiye Diyanet Vakfı, İslam Ansiklopedisi, Istanbul 2002, 26/137-139

[27] المرجع السابق. ص 255

[28] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.22/160.Hukum: 636

في تثبيت الحكم في اليمن، الذي يعدّ جزءاً لا يتجزأ من تلك المواجهة. فقد جاء ذلك في الأمر السلطاني المرسل لأمير أمراء مصر (في غرة ربيع الأول 967هـ/الأول من ديسمبر 1559م)، فقد أمره السلطان بإرسال سفينة على جناح السرعة إلى اليمن مع ثلاثمائة نفر من العساكر؛ لحماية البحر الأحمر؛ بسبب ظهور البرتغاليين فيه[29] مجدداً. فعلى الرغم من تثبيت الحكم العثماني في اليمن في هذه الفترة إلا أن الخطر البرتغالي كان مازال مهدداً لسواحل البحر الأحمر، كما كان مهدداً للتجارة الخارجية. فقد صدر أمر مماثل لأمير أمراء مصر (في 13 ربيع الأول 972هـ/19 أكتوبر 1564م) بإعداد عشر سفن مع كامل طواقمها وأدواتها، وتوجيهها إلى اليمن سريعاً؛ لحماية سفن التجارة الهندية من الاستيلاء البرتغالي عليها[30].

والخطر الثاني الذي كان يهدد الوجود العثماني في اليمن كانت المقاومة التي تظهر ضد هذا الوجود من القوى المحلية في اليمن، ولاسيما آل مطهر. ولم يكن من الممكن مواجهة تلك المقاومة، ما لم يتم سوق الأعداد الكافية من الجنود بالسفن. ولذلك فقد أصدر السلطان أمره لأمير أمراء مصر (في شهر رجب 975هـ/يناير 1568م) بإرسال خمس عشرة سفينة حربية مع كامل طواقمها إلى اليمن؛ بسبب المقاومة[31] التي ظهرت فيها للحكم العثماني مجدداً[32]. وصدر أمر مماثل (في غرة ذي القعدة 975هـ/28 إبريل 1568م) إلى أمير أمراء اليمن، عطفاً على خطاب شريف مكة وحاكم جدة بأنه تم صدور الأمر إلى أمير أمراء مصر؛ لإرسال السفن والعساكر إلى عدن بقيادة خضر بن قورد[33] على جناح السرعة مع منح رواتب الجند المشاركين في الحملة لمدة شهرين، مشيراً فيه إلى وجود خمس وعشرين قطعة من السفن في مصر، وضرورة رفع الأعلام العثمانية على السفن المرسلة إلى اليمن[34].

كما صدر الأمر السلطاني إلى الوزير مصطفى باشا[35] – الذي عين قائداً عاماً للقوات العثمانية في اليمن[36] - (في 6 ذي القعدة 975هـ/3 مايو 1568م) بإبقاء العدد الكافي من السفن في سواحل

---

[29] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.3/99.Hukum.550. S.195

[30] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.6.sy.122.Hukum.256

[31] وهي المقاومة التي قادها المطهر، واكتسح الأقاليم الجنوبية حتى وصلت إلى عدن، وقتل فيها والي اليمن مراد باشا، وانحصرت سيطرة العثمانيين في زبيد وتهامة. سيد مصطفى سالم. الفتح العثماني الأول لليمن. مرجع سابق. ص 244

[32] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.7/116.Hukum: 616. S.224

[33] خضر خير الدين باشا، ابن قورد أغلو مصلح الدين. وقد سماه أبو – وهو أحد القواد السبعة لخير الدين بارباروسا – على اسم قائده الذي كان معجباً به. عمل المترجم له مع بارباروسا مدة من الزمن، وساهم في أعمال كبيرة. وكلف بحماية جزيرة رودس لما غادرها أميرها أحمد؛ للمشاركة في حرب (عام 967هـ/1560م). إلا أنه عين في السنة ذاتها قبطاناً لميناء الإسكندرية، ثم للسويس. ولما قرر السلطان سليم الثاني إرسال المساعدة لسلطان آجه (دار السلام)، فقد كلف المشار إليه لهذه المهمة. إلا أنه لم يقدر على التوجه لها؛ بسبب التمرد الذي نشب في اليمن؛ إذ قدم خدمات بحرية، وقام بوضع الحصار على عدن (في ربيع عام 1569م). وبعد الاستيلاء على عدن (في ذي القعدة 976هـ/مايو 1569م) تم إخماد التمرد في اليمن كلياً. ونظراً لإرسال الدولة العثمانية سفينتين من المساعدات لحاكم آجه، فلم يتوجه لها خضر رئيس؛ بل رجع قيادة سويس مجدداً. أما الأعمال التي قام بها بعد ذلك، فإن المراجع لا تورد شيئاً عنها. كما أن الحديث عنه بـ"المتوفى" في حكم سلطاني (صادر في ذي القعدة 979هـ/مارس 1572م) يشير على وفاته إما في حرب قبرص أو إينه باختي (ليبانتو).

Türkiye Diyanet Vakfı/Islam Ansiklopedisi.Istanbul:1998: 17/416-417

[34] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.7/234.Hukum: 1332. S.460-461

[35] هو لالا مصطفى شاهين باشا: عمل والياً على مصر (967-971هـ/1560-1564م)، والشام (971-976هـ/1564-1568م). وعين أيضاً قائداً لفتح اليمن. إلا أنه عندما سار إلى مصر تقاعس عن السير بأمل أن تضم له ولاية مصر ثانية، إضافة إلى قيادة الجيش.

اليمن بناءً على طلب أمير أمراء اليمن عثمان باشا[37]؛ للحفاظ على السواحل المذكورة، وإعادة بقية السفن إلى السويس، مع إبلاغ السلطان بما تم في ذلك[38].

وقد تبين من هذا الأمر إضافة إلى الأوامر السلطانية الأخرى ضرورة توفير حاجيات الجيش في اليمن. ومع إرسال ما تم إرساله سابقاً فقد طُلب سوق المزيد من العساكر ومواد التموين والسفن، وقد وصل الطلب السلطاني إلى أوجه لما أمر بتخصيص سفن الدشيشة[39] الخاصة بنقل الغلال إلى الحرمين الشريفين في نقل مهمات اليمن[40]. وهذا في الحقيقة يعد ذروة الاستنفار للأحداث التي كانت تجري في اليمن في تلك الفترة، قبيل قدوم عثمان باشا إلى اليمن (في جمادى الآخرة 976هـ/نوفمبر/ديسمبر 1568م)[41]؛ إذ إن الحاجة الملحة في نقل الجند والذخيرة، كانت إلى السفن. كما ورد ذلك أيضاً في الأمر الصادر إلى أمير أمراء مصر (في 6 ذي القعدة 975هـ/3 مايو 1568م)، فقد أفاد هذا الأمر السلطاني أن قاضي مصر ودفتردار ه أرسلا خطاباً، ذكرا فيه أن قبطان الإسكندرية محمود توجه (في الخامس من شوال 975هـ/3 إبريل 1568م) إلى اليمن مع خمس قطع من السفن وجميع ما يلزم من مواد وعساكر، فطلب السلطان بضرورة إبلاغه بالعدد الذي تم سوقه من العساكر، والكمية التي أرسلت من الغلال إلى اليمن، كما طلب منه إرسال عدد آخر من السفن والغلال مع أمير أمراء صنعاء عثمان باشا، وعدم التأخر في تنفيذ هذا الأمر، وذلك حتى يقوم عساكر النصر بتحقيق العديد من الفتوحات إن شاء الله، يضاف إلى ذلك تكليف سفن الدشيشة بنقل العساكر والغلال إلى اليمن - إذا كانت منتهية من عملها في نقل الدشيشة إلى الحجاز -. وطلب السلطان في ختام أمره من أمير أمراء مصر بإبلاغه بما تم في هذا الصدد، وهل وصل القائد العام الوزير مصطفى باشا إلى اليمن أم لا؟[42].

فعزل وعين سنان باشا مكانه. المنح الرحمانية في الدولة العثمانية وذيله اللطائف الربانية على المنح الرحمانية. تعليق المحققة ليلى الصباغ. مرجع سابق. ص 169-170، 187

[36] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.7/244.Hukum: 1347. S. 467

[37] عثمان باشا ابن أوزدمير باشا: من مماليك مصر، ولد بها (عام 933هـ/1527م) من أمه المنسوبة للعباسيين. والده فاتح صنعاء أوزدمير باشا. التحق بالخدمة العسكرية منذ وقت مبكر. ومن أهم مهامه الأولى أن عين أميراً للسنجق. وترأس قافلة الحج (عام 967هـ/1560م) أثناء ممارسته لعمله في السنجق، واستمر أميراً لقافلة الحج المصري ثلاث سنوات. وعين أميراً للأمراء في الحبشة التي كان أبوه أوزدمير باشا أميراً عليها. وبقي في هذا المنصب سبع سنوات، حتى عزل (عام 975هـ/1567م)، رسخ في أثناء ذلك الحكم العثماني فيها. وبعد أربع سنوات عين أميراً للأمراء في صنعاء بعد تقسيم ولاية اليمن إلى إمارتين: اليمن وصنعاء. غير أن قيام الزيديين بقتل أمير أمراء اليمن مراد بك، أدى إلى دمج الولايتين مجدداً؛ إذ عين عليها عثمان باشا. وفي أثناء وجوده في اليمن، عمل على منع تسلل البرتغاليين إلى المنطقة، كما صارع القوات المحلية المناوئة للحكم العثماني فيها. وفي الصراع الدائر بين أمير أمراء مصر مصطفى لالا باشا وبين سنان باشا، أيد لالا باشا، وهذا الاختيار أدى إلى تحديد مستقبله.. عين أميراً للأمراء في الأحساء (978هـ/1571م)، وبعد سنة نقل إلى البصرة؛ إذ قاوم انتشار البرتغاليين في المنطقة، وقام بإعداد عدة حملات على هرمز، لكنه لم يقدر على منع تجارة البرتغاليين في المنطقة، واتصالهم بقبائلها. وعين أميراً للأمراء على دياربكر (984هـ/1576م)، كما ساهم في الحرب العثمانية – الصفوية على داغستان بقيادة لالا مصطفى باشا. ثم عينه السلطان مراد صدراً أعظم للدولة العثمانية (992هـ/1584م)، وكلف بعد شهرين من تعيينه للحملة على القريم. وفي أثناء قتاله ضد الصفويين مرض وتوفي في منزل آحي صو بالقرب من شنكي بازان الواقعة بجوار تبريز (993هـ/1585م).
Turkiye Diyanet Vakfi/Islam Ansiklopedisi.Istanbul:2007: 33/471-473

[38] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.7/244.Hukum: 1346. S. 467

[39] سفن الدشيشة: هي السفن الوقفية التي كانت مهمتها الرئيسة نقل الغلال جميعها من مصر إلى أهالي الحرمين الشريفين.

[40] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.7/244.Hukum: 1341. S. 468

[41] سيد مصطفى سالم/الفتح العثماني الأول لليمن. مرع سابق. ص 259

[42] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.7/244.Hukum: 1347. S. 467

ومن ضمن الأمور الخاصة بالسفن التي أوردتها دفاتر المهمة، ما يتعلق بالمواد الخام التي يتم بناء السفن بها. فقد أرسل السلطان أمره إلى قبطان الإسكندرية (في 9 ذي القعدة 975هـ/6 مايو 1568م)، ذكر فيه أن الأخشاب التي تم قطعها من بياس[43]؛ لبناء خمسة أعداد من السفن العسكرية، قد أرسلت إلى الإسكندرية، وأنه في حال الحاجة إلى الغلال والتموين، عليه بإرسالها إلى العساكر في اليمن[44].

كما تناول أحد الأوامر السلطانية أنواع السفن المستخدمة في تلك الفترة بين مصر واليمن، واستيعاب كل سفينة للعدد الممكن من الجنود؛ إذ أشار الأمر الصادر إلى قائد القوات العثمانية في اليمن مصطفى باشا (في 6 ذي الحجة 975هـ/2 حزيران 1568م)، بوجود أربع عشرة سفينة من نوع قادرغة[45] وثلاث سفن من نوع قاليون[46]، وأن كل قادرغة قادرة على حمل خمسين شخصاً، وكل قاليون (غاليون) قادرة على حملة خمسمائة شخص، وأنه بناءً على الخبر الوارد من اليمن، فإن العدد الذي تقدر السفن المذكورة على حملهم إلى اليمن ألفان ومائتا رجل. وأن فتح بلاد (اليمن) بهذا العدد يصبح متعسراً. ولما تم الاستفسار عن ذلك من قادة البحر أفادوا أن كل قادرغة تقدر على حمل مائتي شخص، كما أن (الخطابات السابقة الواردة من مصر) أفادت بوجود اثنتين وعشرين قطعة من سفن قادرغة، وأن المساعي مبذولة؛ لتوفير العدد الكافي من سفن قاليون. وبناءً على ذلك فقد أمر السلطان بعدم إهمال الموضوع أو تأخيره؛ بل تم توجيه الأمر لمصطفى باشا بالتوجه إلى اليمن سريعاً بالسفن والعساكر، مع جلب الكمية الكافية من الغلال والبقسماط[47] والأحمال والأثقال المطلوبة؛ حتى يتم إحراز النجاح في هذا الأمر الهام[48].

كما تناول أحد الأوامر السلطانية إعداد العدد الكافي من السفن في السواحل اليمنية في مواجهة الأعداء، وذلك في عقب الخطاب الوارد من الوزير حسن باشا المكلف بالحفاظ على الأمن في اليمن؛ إذ صدر إليه أمر سلطاني (في 10 محرم 996هـ/11 ديسمبر 1567م)، عطفاً على الخطاب الذي بعثه إليه الوزير، المتضمن أن الجاسوس المرسل إلى الهند قد أخبر أن حاكم الهند جلال الدين قد اتفق مع البرتغاليين؛ لضرب بنادر اليمن، وأنهم بصدد إرسال الأسطول إليها، وأنه بناءً على ذلك فقد تم أخذ التدابير اللازمة في ذلك، وتعيين العدد الكافي من الرجال في الجانب البري من تلك البنادر، أما الجانب البحري فإن الأمر يحتاج لتوفير عشرين/ثلاثين قطعة من السفن، وأنه ماعدا خمس قطع من

---

[43] قضاء تابع لمحافظة خطاي التركية في الوقت الراهن، تقع على خليج الإسكندرونة، بين المدينة الموسومة بهذا الاسم (الإسكندرونة) وبين مدينة دورت يول.

[44] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.7/239.Hukum: 1377. S. 477

[45] قادرغا: نوع من السفن في الأسطول العثماني، كان أكبرها. وكان يسمى في الأساطيل الأجنبية بالغالي أو غالر. لكل واحدة منه خمسة وعشرون مقعداً وتسعة وأربعون مجدافاً، يحرك المجداف الواحد أربعة أو خمسة أشخاص. وكان طول الواحدة منها 165-168 قدماً، وعرضها 21-22 قدماً. كانت تعمل بالمجداف والشراع. وتحمل الواحدة منها مدفعية كبيرة وأربع وسطى وثماني صغيرة. ويعمل فيها 196 مجدفاً و100 محارب، و35 بحاراً، إضافة إلى أصحاب المهن الأخرى. سهيل صابان/المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1421هـ/2000م. ص 172

[46] قاليون: الاسم الذي أطلق على النوع الكبير من السفن الحربية في الأسطول العثماني، الذي تتحرك بالأشرعة. وأصل الكلمة من Calion الإيطالية. وقيل هي سفينة تجارية، يقال لها غليون، مأخوذة من الفرنسية Galion. ويتوافر فيها 60-120 مدفعاً، ولها عدة أنواع. المرجع السابق. ص 175

[47] بقسمات: خبز جاف، هش، يتزود به المسافر، مثل الكعك. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية. مرجع سابق. ص 63

[48] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.7/267.Hukum: 1507. S.526

السفن المرسلة من مصر، فإن العمل جار في بناء خمس عشرة سفينة أخرى، كما تم بناء وتجهيز خمس قطع من السفن في البصرة أيضاً، مشيراً إلى أنه تم إرسال الأمر المؤكد لأمير أمراء مصر بالعمل في بناء السفن المذكورة بدون توقف. و"بناءً على ما سبق فإذا ما وصلك خبر بأسطول الكفار المذكورين، تقوم على الفور بإبلاغ أمير أمراء مصر والبصرة بذلك، ولا تكتفي بذلك؛ بل ترسل أيضاً أناساً موثوقين لإبلاغهما بالأمر؛ حتى يتم إرسال خمس عشرة قطعة من السفن من مصر، وخمس سفن من البصرة، وحتى تكون متبصراً بالأمر فلابد لك من أخذ التدابير اللازمة من الآن؛ حتى لا يتمكن الكفار المذكورون من الاستيلاء على ممالكنا المحروسة. وعليك أن تعرف أن هذا الأمر لا يشبه الأمور الأخرى، فلابد من دفع أضرارهم بأي صورة كانت"[49].

3 – إرسال الجند والذخيرة إلى اليمن

إن تثبيت الحكم العثماني في اليمن واستمرار وجوده فيه، كان يتطلب توفير عدد كبير من الجنود فيه. ولا يمكن إرسال هذا العدد الكبير من العساكر من العاصمة إستانبول وحدها؛ بسبب بُعدها عن اليمن. كما أن الثورات التي كانت تقوم بين الحين والآخر في اليمن ضد الوجود العثماني، كان يتطلب سوق العساكر إلى اليمن بسرعة، إما لإخماد هذه الثورة أو تلك، أو تقديم المساعدة للجنود العثمانيين الموجودين في اليمن. وبما أن مصر كانت أقرب المناطق إلى اليمن، فقد كانت الأوامر السلطانية تصدر إليها في توفير الجنود وسوقهم إلى اليمن. من ذلك ما جاء في الأمر السلطاني المرسل لأمير أمراء مصر (في غرة ربيع الأول 967هـ/الأول من ديسمبر 1559م)؛ إذ أمره السلطان بإرسال ثلاثمائة نفر من العساكر إلى اليمن؛ لحماية البحر الأحمر[50]. كما صدر الأمر له أيضاً (في 17 شعبان 975هـ/16 فبراير 1568م)، بإعداد ألف نفر من الإنكشارية، وأنه تم تسجيل ستمائة نفر من إستانبول، ووجب إعداد أربعمائة شخص من الجند من مصر. كما ذكر السلطان بأنه "سبق إرسال أمرنا الشريف أيضاً بإرسال ألفي نفر من الإنكشارية في مصر إلى اليمن. وقد اتضح من فحوى الأمر عدم الرغبة في التوجه إلى اليمن من المصريين"، فأكد السلطان على أنهم سوف يعودون إن شاء الله تعالى إلى مصر قريباً، ولا يمكثون فيه اليمن طويلاً[51]، مما يوضح عدم رغبة هؤلاء الجنود القادمين من مصر في التوجه إلى اليمن. وقد وضح الفرمان السلطاني المرسل في (18 شعبان 975هـ/17 فبراير 1568م) إلى أمير أمراء مصر ودفترداره، الرواتب التي تعطى لهؤلاء العساكر وقوادهم[52].

ولم يكن الأمر مقتصراً على إرسال الجند من مصر؛ بل كان يتم نقل العساكر من منطقة إلى أخرى في داخل اليمن؛ بسبب الحاجة الملحة لهم فيها، كما صدر الأمر السلطاني بذلك لأمير أمراء اليمن (في غرة ذي القعدة 975هـ/28 إبريل 1568م)، بإرسال العساكر إلى عدن بقيادة خضر بن قورد على جناح السرعة، مع منح رواتبهم لمدة شهرين؛ حتى يظهر أثر تلك الجهود الحميدة في طرد الأعداء من تلك الولاية[53]. وقد أرسل السلطان خطاباً مماثلاً لأمير أمراء مصر في التاريخ ذاته، طلب منه الإسراع في إرسال العساكر إلى اليمن مع الغلال الكافية لهم، وذلك من خلال السفن العسكرية المتأهبة تحت قيادة عثمان باشا و(خضر بن) قورد أوغلي.

---

[49] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.62/115-52.Hukum.487.. S.205

[50] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.3/99.Hukum.550. S.195

[51] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.7/161.Hukum: 895. S.313

[52] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.7/161.Hukum: 901. S.314

[53] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.7/234.Hukum: 1332. S.460-461

ونجد بعض الأوامر السلطانية تفصل في ذكر أصناف الجنود المرسلين إلى اليمن. من ذلك الأمر الصار لأمير أمراء مصر بإرسال الأمراء والكشافة والمتفرقة وجاوشية السرايا (وهم مختلف عناصر الأمن والعساكر في مصر) - ممن لديهم الاستعداد للقتال - إلى اليمن[54].

كما جاء التوضيح في بعض أنواع الذخيرة والمهمات العسكرية التي تم إرسالها من إستانبول إلى اليمن عبر مصر، وذلك في الأمر السلطاني المرسل إلى أمير أمراء مصر (في 13 ذي القعدة 975هـ/9 مايو 1568م)؛ إذ ذكر أنه "تم تحميل بعض السفن المتجهة إلى مصر حاجاتِ اليمن من العتاد العسكري (وهي 500 عدد سهم قومباره[55]، و400 عدد سحابة قومباره و400 عدد توليته)، فإذا وصلت إلى مصر، تقوم بإرسالها إلى اليمن من خلال إحدى السفن المتجهة إليها. وتكتب إلينا بوصولها إلى اليمن"[56].

وتناول الأمر السلطاني الصادر إلى الوزير سنان باشا (في 22 ربيع الأول 976هـ/14 سبتمبر 1568م)، عزلَ مصطفى باشا عن قيادة الجيوش العثمانية في اليمن، وتعيين المشار إليه سنان باشا في هذه الوظيفة، طالباً منه تسلّم الطغراء السلطاني والسنجق والعلَم من المذكور، وتنظيم أمور الجيش من خلال العدد المرسل من مصر (وهم ألفا جندي) والعدد المرسل من الشام (وهم خمسمائة جندي)، الملتحقين بالعساكر الموجودين في اليمن. وقد ذكر عدد البنادق التي تم إرسالها، وتلك التي يتم إرسالها في وقت قريب[57]. والجدير بالذكر أن الأوامر السلطانية إلى سنان باشا، تضمنت تركيزاً خاصاً على أهمية استرجاع عدن، باعتبار أهميته الاستراتيجية في النزاع الدائر بين العثمانيين والبرتغاليين، ومن ثم غلق حوض البحر الأحمر أمام الخطر البرتغالي الذي كان يهدد الحرمين الشريفين والعالم العربي بوجه عام من ناحية الجنوب[58].

وعلى الرغم من ضخامة حملة سنان باشا من حيث المعدات والتجهيزات[59]، إلا أنه كان يطلب مزيداً من القوات والأسلحة؛ حتى يثبّت الحكم العثماني في اليمن. فقد ورد في الأمر السلطاني الصادر (في 17 محرم 978هـ/21 حزيران 1570م) "أن الدستور المكرم الوزير سنان باشا أرسل خطاباً، ضمنه طلبه إلى أمير أمراء مصر في إرسال ثلاثة آلاف مسلح مع دفع مخصصاتهم وبنادقهم، وأن طلبه لم يستجب كما هو؛ بل أرسل إليه خمسمائة/ستمائة رجل مع دفع رواتبهم لمدة ثلاثة أشهر، وأنه على الرغم من قلة عددهم في مواجهة تمرد القبائل، فقد تمكن من دحرهم، ولاسيما بعد إحراق مخازن أسلحة العدو والاستيلاء على قلعة صنعاء، بفضل التنسيق والاتفاق الذي تم بينه وبين العساكر في القلعة"[60]، ما أبرز أهمية حملة سنان باشا، ليس في إعادة السيطرة العثمانية إلى اليمن فحسب؛ بل في كونها تجسيماً واقعياً للظروف التاريخية، اليمنية والعثمانية على السواء[61].

---

[54] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.7/244.Hukum: 1341. S. 468

[55] قومباره: أصله من خمبره، وهو نوع من قذائف المدافع، مدورة.
Buyuk Turkce Sozluk/D.Mehmet Dogan.17.baski. Ist.Pinar yay.2005.sy.807

[56] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.7/239.Hukum: 1376. S. 477

[57] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.7/388.Hukum: 2099. S.768

[58] سيد مصطفى سالم/الفتح العثماني الأول لليمن. مرجع سابق. ص 260

[59] المرجع السابق. ص 261

[60] الأرشيف العثماني، تصنيف
A.DVNSMHM.10/17.Hukum: 45. S.31; 12/133.Hukum.537.S.262; 14-2/225. Hukum 1518.S.1026

[61] سيد مصطفى سالم/الفتح العثماني الأول لليمن. مرجع سابق. ص 261

ومن الأوامر السلطانية التي تشير بوضوح لمقتل الكثير من عساكر الدولة العثمانية في اليمن، الأمر الذي أرسله السلطان إلى أمير أمراء مصر في (24 رمضان 999هـ/16 تموز 1591م)؛ إذ ذكر فيه أن الوزير حسن باشا المكلف بتوفير الأمن لليمن، أرسل خطاباً طلب فيه إرسال العساكر إليه؛ بناءً على مقتل الكثير من عساكره في فتح قلاع اليمن وفي قتال المتمردين للحكم العثماني فيها، "فتم إصدار الأوامر إلى مصر؛ لإعداد ألف نفر من العساكر في مصر وإرسالهم إلى اليمن، على أن يتم دفع رواتبهم من مصر؛ إذ إن أمير الأمراء المتوفى أويس باشا لم يقم بتأدية مخصصات العساكر المذكورين من خزينة مصر. وبناءً على أن القيام بإعداد ألف عسكري من مصر وإرسالهم إلى اليمن من أهم أمور الدين والدولة، فإذا ما وصل إليك أمري الشريف تقوم على الفور بإعداد ألف نفر من العساكر وإرسالهم إلى اليمن، وتأدية رواتبهم من خزينة مصر، ولا يقبل منك العذر في هذا الخصوص"[62].

4 – توفير حاجيات الجيش في اليمن

على الرغم من أهمية إعداد السفن وسوقها بالعساكر إلى اليمن، إلا أن توفير حاجيات هؤلاء الجنود وإرسالها إلى اليمن في وقته، لا تقل أهمية عن وجودهم فيه، وهو الأمر الذي يساعدهم في استمرار بقاء ذلك الوجود. وقد أشارت الأوامر السلطانية إلى تلك الحاجات المتنوعة، من أسلحة وذخائر وغلال ورواتب وبارود. من ذلك الأمر السلطاني الصادر إلى أمير أمراء مصر (27 ربيع الأول 972هـ/2 نوفمبر 1564م) بضرورة توفير سائر حاجيات العساكر الموجودين في اليمن، سواء أكانت غلالاً أم مواد تموين أو عتاداً عسكرية أو أموالاً، ونصت أيضاً على البارود إلى اليمن؛ للحاجة إليها في الأعمال العسكرية التي تجري في المنطقة[63]، كما ورد في الأمر السلطاني الصادر في (19 رجب 975هـ/19 يناير 1568م) لأمير أمراء مصر، بتأدية رواتب العاملين في الأسطول العثماني المرسل إلى اليمن بالنقد العثماني على الوجه القديم[64]، أي المقرر سابقاً بالعملة المحددة؛ حتى يفقدوا قيمتها. وذكر في الأمر السلطاني الصادر (في 6 ذي القعدة 975هـ/3 مايو 1568م) إلى أمير أمراء مصر بضرورة إبلاغه بالكمية المرسلة من الغلال إلى اليمن[65]، ما يدل على المتابعة الحثيثة من السلطان في ذلك.

ومن جهة أخرى فإن المساعدات التي قدمها أمير مكة المكرمة؛ لاستقرار الحكم العثماني في اليمن كان مقدَّراً من السلطان العثماني؛ إذ ورد في الخطاب السلطاني المرسل لجناب الشريف (في 2 جمادى الأولى 976هـ/23 أكتوبر 1568م)، "الجهد الذي بذله في إرسال العساكر من الحجاز إلى اليمن، والتعاون المثمر الذي أبرزه جناب الشريف في دفع الأعداء، ما يدل على الإخلاص والحمية الإسلامية تجاه الدولة العلية". وقد طلب السلطان من الشريف تقديم كل أنواع التعاون للقوات العثمانية في اليمن، سواء بإرسال الرجال أو توفير الغلال أو الإبل[66]. كما ورد ذلك أيضاً في الأمر السلطاني المرسل لشريف مكة المكرمة[67] (في 25 جمادى الآخرة 976هـ/15 ديسمبر 1568م)،

---

[62] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.5 Nolu Muhimme Zeyli.Hukum: 162. S.43

[63] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.6/101. S.201

[64] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.7/125.Hukum: 675. S.242

[65] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.7/244.Hukum: 1347. S. 467

[66] الأرشيف العثماني، تصنيف

A.DVNSMHM.7/506.Hukum.2753. S.1003; 7/508.Hukum: 2758. S.1007

[67] في العادة يرسل السلطان خطاباً سلطانياً إلى شريف مكة المكرمة؛ بسبب نسبه الطاهر. لكن هنا صدر الأمر السلطاني بصيغة حكم. وهو من الأحكام القليلة الصادرة في حق أمراء مكة المكرمة، ما يدل على أهمية الموضوع.

ولاسيما في قيام الشريف بتقديم مائة وخمسين خيلاً عربياً وألف رأس من مُهر الإبل؛ لإرسالها إلى الجيش العثماني في اليمن؛ إذ تم دحر عساكر المطهر[68]. وبناءً على ذلك الموقف من الشريف فقد أرسل السلطان خطاباً سلطانياً إلى الشريف أبي نمي ابن بركات - وسوف يتم إدراجه في ملحق الدراسة-، قدَّر فيه موقف ابنه الشريف حسن أبن أبي نمي[69] أمير مكة المكرمة، الدال على الصدق والإخلاص والحمية الإسلامية، طالباً استمرار ذلك[70].

هذا.. ومن الأوامر السلطانية الواردة في دفاتر المهمة فيما يخص تثبيت الحكم العثماني في اليمن، ما يتعلق بآل مطهر، وكيفية قيامهم بمقاومة الوجود العثماني في اليمن، وكيفية القبض على بعض منهم. ونظراً لأهمية هذا الموضوع، فسوف يتم إدراج أمرين سلطانيين مرسلين للوزير حسن باشا في اليمن، في ملحق هذه الدراسة.

الخاتمة

تبين مما تم عرضه في هذه الدراسة المقتضبة وفي ضوء الأوامر السلطانية الواردة في دفاتر المهمة أن الهدف الرئيس من التوجه العثماني لليمن، تشكيل حزام أمني حول الحرمين الشريفين؛ بسبب الأخطار المحدقة بهما من البرتغاليين. وقد نجحوا في ذلك لما ضموا البحر الأحمر بضفتيه بما فيهما اليمن إلى حكمهم. كما أنهم اكتفوا فقط في هذا الضم، بما يشكل ذلك الحزام الأمني في الخليج العربي، لما ضموا منطقة الأحساء، ولم يتجاوزوها.

وبناءً على أهمية اليمن الإستراتيجية فقد قام العثمانيون بمجموعة من الإجراءات العملية؛ لتثبيت حكمهم في اليمن. تمثلت في التنسيق بين ولايات المنطقة، وفي بناء السفن وإرسالها إلى سواحل البحر الأحمر، وفي سوق العساكر من مصر بصورة خاصة إلى اليمن. وقد بذلوا في كل ذلك جهوداً مضنية، كلفتهم طاقات بشرية ومادية كثيرة، لم يتأخروا عن صرفها بسخاء، وتقديم التضحية في هذا الخصوص. ومع نجاحهم في ذلك إلا أن هذا الحكم في مرحلته الأولى لم يدم إلا مائة سنة على وجه التقريب؛ إذ انتهت هذه المرحلة عام 1635م.

التوصية

بناءً على ما سبق ونظراً لاطلاع الباحث على كثير من الأوامر السلطانية الواردة في دفاتر المهمة الخاصة بأوضاع الجيش العثماني في اليمن، والعمليات التي قام بها، والتقسيمات الإدارية التي أجرتها في اليمن، فإن القيام بحصر تلك الأوامر الصادرة في فترة الوجود العثماني الأول في اليمن وترجمتها ونشرها، سوف يفتح آفاقاً جديدةً للباحثين المتخصصين في تاريخ اليمن بصورة خاصة وتاريخ الجزيرة العربية بصورة عامة.

---

[68] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.7/510.Hukum: 2764. S.1011

[69] الشريف حسن بن أبي نمي: عين أميراً لمكة المكرمة في حياة والده (في شوال 960هـ/سبتمبر 1554م)، واستمر في إمارته إلى أن توفي (في جمادى الآخرة 1010هـ/سبتمبر 1601م) أثناء خروجه للحرب في أطراف نجد، عن عمر ناهز ثمانية وسبعين عاماً. إسماعيل حقي أوزون جارشلي/أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني؛ ترجمة خليل علي مراد. بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1424هـ/2003م. ص 137-139

[70] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.7/511.Hukum: 2769. S.1014

ملحق

1 - الخطاب الذي أرسله السلطان العثماني إلى شريف مكة المكرمة (في 25 جمادى الآخرة 976هـ/15 ديسمبر 1568م):

ذكر فيه تقديره لموقف الشريف المتضمن أنه لما سمع بمقدم المطهر إلى الحد (الفاصل بينه وبين القوات العثمانية) قام الشريف بإرسال مجموعة من العساكر تحت إمرة السيد حسن إلى جدة، فوصل أمير الأمراء عثمان باشا في تلك الأثناء إلى جدة، فذكر للشريف أن إعطاء الخيول والإبل للعسكر أولى من إرسال الرجال، فقام الشريف بتقديم مائة وخمسين خيلاً عربياً وألف رأس من مهر الإبل، تم منها إرسال مائة وعشرين رأساً بالسفينة بحراً إلى اليمن، وثلاثين رأساً مع ألف ناقة المذكورة براً مع رجالات الشريف ورجالات الوالي، وماعدا ذلك فقد أرسل الشريف ثلاثين خيلاً إلى اليمن، فتم دحر عسكر المطهر[71]. وبناءً على ذلك الموقف من الشريف فقد أرسل السلطان خطاباً سلطانياً إلى الشريف أبي نمي ابن بركات، ذكر فيه أن أمره السلطاني لما وصل إلى ابنه أمير مكة المكرمة الشريف حسن ابن أبي نمي بتقديم الخيول والإبل والسفن والغلال للعساكر المرسلين إلى اليمن، فقد قام بندب الرجال إلى أنحاء الحجاز، فاشترى من ماله الخاص ألف مهر من نياق الإبل، وجهز عشرين سفينة، وأرسل عدداً من الخيالة تحت إمرة ابنه، فقدِم أمير أمراء اليمن عثمان باشا (إلى جدة) فأبرز الأمر السلطاني للشريف بتسليم تلك المواد إليه، فسلم الألف ناقة وعشرين سفينة المذكورة لعثمان باشا. ولما ذكر عثمان باشا أن الخيل أولى للعسكر وأنفع فقد قدم الشريف مائة وخمسين فرساً، وأرسلها إلى اليمن مع سائر المواد اللازمة الأخرى. فقد قدر السلطان موقف أمير مكة المكرمة، الدال على الصدق والإخلاص والحمية الإسلامية، طالباً استمرار ذلك[72].

2 - الأمر السلطاني المرسل إلى الوزير حسن باشا الموجود في اليمن (في 23 ذي القعدة 994هـ/5 نوفمبر 1586م):

فقد وصل الخطاب الذي بعثته، المتضمن القبض على ستة أشخاص من أسرة آل مطهر، وكذلك الاستيلاء على السفن البرتغالية التي أنزلت الجنود في المخا، وأسر قباطنتها؛ لإرسالهم مع أولاد آل مطهر إلى إستانبول. وعليك أن يستمر في حفظ ولاية اليمن ولاسيما بندري المخا وعدن وغيرهما من البنادر والمعابر، وحراستها على الوجه الأكمل؛ لأنها ناظرة (أي مؤدية) إلى جهة الحرمين الشريفين. وذكر السلطان أنه فوض الوزير المذكور حسن باشا بحفظ تلك المنطقة، وطلب منه الاستمرار في تقديم الخدمات اللازمة لها كما كان، وتحاشي ما يؤدي إلى المساس بشرف السلطنة السنية في تلك المنطقة (من وقوع أعمال تمس أمن الحرمين الشريفين)، أو التصرف في أمر مغاير لذلك، وأن يفتح عينه وسمعه في تلك الأطراف والأكناف؛ حتى يصبح على تبصر بالأوضاع، ولاسيما في تحركات البرتغاليين الكفار وغيرهم في المنطقة، وأمره بإرسال الأشخاص الذين قبض عليهم الوزير حسن باشا من آل مطهر والكفار (البرتغاليين) محبوسين ومقيدين إلى إستانبول سريعاً، وأن يزوده بأخبار ولاية اليمن مجدداً[73]. وقد أرسل السلطان أمره في التاريخ ذاته إلى أمير أمراء مصر أيضاً، بشره فيه بما حصل من فتح وتسخير لبلاد اليمن على يد الوزير حسن باشا، وقبض على ستة أشخاص، خمسة منهم من أولاد آل مطهر وشخص من أولاد عدن (؟)، مشيراً إلى أن كفار الإسبان [الصحيح: البرتغاليون] قد قدموا في العام المنصرم [أي 993هـ/1587م] بالعساكر والسفن

---

[71] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.7/510.Hukum: 2764. S.1011

[72] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.7/511.Hukum: 2769. S.1014

[73] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.61/51.Hukum.239.. S.99

إلى أطراف اليمن؛ بغية إيصال مفاسدهم إلى الكعبة المعظمة والمدينة المنورة؛ إذ بلغ عدد سفنهم ستاً وعشرين سفينة، وفي الوقت الذي كانوا يتأهبون فيه إنزال العساكر في المخا، تمكن عساكر النصر العثمانيون الموجودون هناك من إنزال الهزيمة بهم بعد القتال الذي جرى فيه، وتم الاستيلاء على ثلاثة سفن مع من هم موجودون على متنها. وبناءً على ضرورة توفير العدد الكافي من السفن (في تلك السواحل)، ونظراً لأنك (أي أمير أمراء مصر) قد ذكرت أنك بصدد إرسال ست قطع من السفن إلى اليمن، فقد أرسلت إليك أمري المؤكد بإرسال تلك السفن على جناح السرعة، وعدم إمهالها. ولاسيما أن مصر قريبة من اليمن، ولابد لك من أن تكون مطلعاً على أوضاع اليمن عن كثب، وتتقيد بالأوامر المرسلة إليك، وأن ترسل السفن المذكورة في وقتها وزمانها على أكمل صورة؛ حتى لا يكون هناك مجال من مجيء كفار الإسبان للاستيلاء على المخا وإجراء المحاولة مجدداً. ولو أنك لم تتقيد بالأوامر المرسلة إليك، فلا تلومون إلا نفسك. ولذلك عليك التقيد بها وعدم التكاسل في تنفيذها، أو الإهمال فيما يجب عليك القيام بها[74].

3 – الأمر السلطاني المرسل إلى الوزير حسن باشا في اليمن (في 10 محرم 996هـ/11 ديسمبر 1587م):

ذكر فيه أن المطهر كان على صدق وإخلاص مع دار سعادتنا (إستانبول)، ولذلك تم منحه السنجق كما تم منح أولاده السناجق. ولما توفي أبوهم المطهر، فقد تحرك الفساد المركوز في عروقهم، فخالفوا العهد واليمين، فتم سوق العساكر المظفرين عليهم، ووضع الحصار على القلاع التي تحصنوا فيها، وامتثالاً لقوله تعالى "وإن جندنا لهم الغالبون" فتغلب الجيش عليهم. وكان صاحب قلعة توله "علي يحيى (آل مطهر)"، وصاحب قلعة دمرمر لطف الله، وصاحب قلعة غفار عز الدين وشرف ولدي شرف، وصاحب (قلعة) منعال حفظ الله، وصاحب جبل التويم المتزعم لدوى الإمامة حسن، ووزيره؛ إذ تم القبض عليهم جميعاً، كما تم القبض على تسعة أشخاص من كفار البرتغال الذين قدموا؛ لنهب البنادر في الحبشة والكعبة المكرمة (جدة) والمدينة المنورة والإغارة عليها، إضافة إلى الملعون المدعو دوكوندو برينو؛ إذ تم أسرهم جميعاً وإرسالهم إلى دار سعادتنا (إستانبول) مع الرجال الموجودين هناك في خدمة الدولة العثمانية. كما أبلغت بذلك في إعلامك الذي أرسلته معهم. وقيامك بهذا العمل المبرور والسعي المشكور كان مدعاة للدعاء لك بأن يوفقك الله تعالى، وأن يديم عليك عنايته وكرمه. وبناءً على عرضك فقد أصدرنا حكمنا الشريف وأمرت: إذا وصل إليك حسين – دام مجده وهو من متفرقان (مستشاري) بابنا العالي – تستمر في صدقك وإخلاصك لبابنا العالي وتشمّر عن ساعد الجد وتستشير الأمراء والآغاوات وسائر العساكر المنصورين وشيوخ العربان بصورة دائمة، وتجمعهم وتشعرهم بعطفنا السلطاني نحوهم، وتقرأ عليهم فرماننا السلطاني، وتعطي كل واحد منهم الاستمالة؛ حتى يقوموا من بعد أيضاً بتقديم المزيد من الخدمات بعونه تعالى، ويتحقق النصر والظفر، وتظهر الخدمات المبرورة والمساعي المشكورة. ولأجل ذلك فقد تم إرسال قطعتين من خلع فاخرة وسيف مرصع؛ تقديراً لجهودك المذكورة. فإذا ما وصلت إليك الخلعتان مع المذكور تقوم بلبسها وتقلد السيف المرصع عليها[75]..

---

[74] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.61/51-52.Hukum.240.. S.99-100

[75] الأرشيف العثماني، تصنيف A.DVNSMHM.62/114..Hukum: 453.sy.203

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: وثائق الأرشيف العثماني: دفاتر المهمة

- A.DVNSMHM.3/99.Hukum.550. S.195
- A.DVNSMHM.6.sy.122.Hukum.256
- A.DVNSMHM.6/101. S.201
- A.DVNSMHM.7/116.Hukum: 616. S.224
- A.DVNSMHM.7/125.Hukum: 675. S.242
- A.DVNSMHM.7/161.Hukum: 895. S.313
- A.DVNSMHM.7/161.Hukum: 901. S.314
- A.DVNSMHM.7/234.Hukum: 1332. S.460-461
- A.DVNSMHM.7/239.Hukum: 1377. S. 477
- A.DVNSMHM.7/244.Hukum: 1341. S. 468
- A.DVNSMHM.7/244.Hukum: 1346. S. 467
- A.DVNSMHM.7/244.Hukum: 1347. S. 467
- A.DVNSMHM.7/267.Hukum: 1507. S.526
- A.DVNSMHM.7/388.Hukum: 2099. S.768
- A.DVNSMHM.7/506.Hukum.2753. S.1003; 7/508.Hukum: 2758. S.1007
- A.DVNSMHM.7/510.Hukum: 2764. S.1011
- A.DVNSMHM.7/511.Hukum: 2769. S.1014
- A.DVNSMHM.10/17.Hukum: 45. S.31; 12/133.Hukum.537.S.262; 14-2/225. Hukum 1518.S.1026
- A.DVNSMHM.22/160.Hukum: 636
- A.DVNSMHM.61/51.Hukum.239.. S.99
- A.DVNSMHM.62/114..Hukum: 453.sy.203
- A.DVNSMHM.62/115-52.Hukum.487.. S.205
- A.DVNSMHM.5 Nolu Muhimme Zeyli.Hukum: 162. S.43

ثانياً: المراجع العربية

- إسماعيل أحمد ياغي/الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث.- الرياض: مكتبة العبيكان، 1416هـ/1996م. إسماعيل أحمد ياغي/الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث.- الرياض: مكتبة العبيكان، 1416هـ/1996م.

إسماعيل حقي أوزون جارشلي/أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني؛ ترجمة خليل علي مراد. بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1424هـ/2003م.

سيد مصطفى سالم/الفتح العثماني الأول لليمن: 1538-1635م.- ط2.- القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1978م.

طلال حمود المخلافي. الحملات العثمانية على اليمن (926-978هـ/1520-1571م)، جامعة محمد الخامس في أكدال/الرباط: رسالة دكتوراه غير منشورة، (1431هـ/2010م).

عبد العزيز محمد الشناوي/الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها.- ط2.- القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1986م
محمد أنيس/ الدولة العثمانية والشرق العربي: 1514-1914م. القاهرة: مكتبة سعيد رأفت، 1977م الدولة العثمانية والشرق العربي: 1514-1914م. القاهرة: مكتبة سعيد رأفت، 1977م
أبو مخرمة/ تاريخ اليمن السياسي مطلع القرن السادس عشر (العاشر الهجري): (906-927هـ/1500-1521م) من تاريخ قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر لأبي مخرمة، مع دراسة للصراع الإسلامي البرتغالي على سواحل جنوب الجزيرة العربية والبحر الأحمر/تعليق لين أوبيل سخومن؛ حقق النص وترجم التعليقات وأضاف الملاحق: عبد الرحمن بن عبد الله الأحمري. (د م ن): 1429هـ/2008م.

ثالثاً: المراجع التركية

- D.Mehmet Dogan/Büyük Türkçe Sözlük.17.baskı. İst. Pınar yay. 2005. sy. 807
- Muhammet Yildirim/XVI. Yüzyılda Osmanlı Devletinin Kızıldeniz, Basra Korfezi, Yemen ve Habeşistan Politikaları. (Yüksek Lisans Tezi). Süleyman Demirel Ünv. Sosyal Bilimler ens. Tarih Bolümü, 2001.
- Türkiye Diyanet Vakfı/İslam Ansiklopedisi. İstanbul:1991-2013